ISSN = 2073-6614 pp: 516 - 535 | مجلة جامعة الانبار للغات والآداب

Outlets of Psychological Expressing in the Poetry of Ibn Haddad Al-Andalusi

منافذ التعبير النفسي في شعر ابن الحدّاد الأندلسي

Bahaa Hilal Jassim Mohammed Obaid Saleh

bahasds8@gmail.com mohamad.o1980@uoanbar.edu.iq

College of Education for Humanities, University of Anbar

بهاء هلال جاسم أ.د.محمد عبيد صالح

جامعة الانبار/ كلية التربية للعلوم الانسانية

Received: 24-08-2022 Accepted:18-١١-2022 Published: 30-12-2022

Doi: 10.37654/aujll.2022.177976

Abstract:

The poetic texts reveal the calmness and emotions of the poet's personality, the sincerity and artificiality of emotions. They also refer to the situations and circumstances that the poet went through and left their impact. Consequently, the poet moves towards expressing feelings under this situation. Ibn Haddad termed these meanings as gray hair, death and complaint.

Keywords: Outlets, Psychological Expressing, Poetry of Ibn Haddad Al-Andalusi

الملخص :

النصوص الشعرية تكشف لنا هدوء شخصية الشاعر وانفعالاتها وصدق عاطفته وكذبها ، كذلك تشيرللمواقف والظروف التي مرّ بها الشاعر وتركت أثراً في نفسه ، فيندفع الشاعر للتعبير عن مشاعره تحت وطأة هذا الموقف ، وهذا ما يسمى مافذ التعبير النفسي والتي تظهر عن طريق الأثر

والمؤثر ، وجاء هذا عند شاعرنا ابن حدّاد موسوماً في المبحث الأول : الشيب ، المبحث الثاني : الموت والمبحث الثالث : الشكوى

الكلمات المفتاحية: المنافذ، التعبير النفسي، شعر ابن حداد الأندلسي.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . وأفضل الصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اهله الطيبين الطاهرين .

فيتمتع الأدب عموماً ، والشعر على وجه الخصوص بخصوبة مادته ، وحظوته بالدراسات النقدية ، التي لا تحصى عدداً ، وما زال الأدب لا يعرف نهاية ، ولا يكتفي بيسير ، وكل دراسةً للشعر هي بثّ حياة جديدة فيه ، وإبراز لمفاتن اخرى من مفاتنهم الأصيلة ، ويحتل الأدب الأندلسي في نفوس الدارسين والباحثين منزلة خاصة ، لما يمتاز به من سمات تجعله يتوهج بالتفرد ، والإستقلال ، والاختلاف عن غيره من الأدب العربي في المشرق ، فالأندلس تحتل مكانة في قلب كلّ عربي ، بوصفها مثال يعبر عن قدرة العرب عن بلوغ درجات الحضارة والرقي ، وفي الوقت نفسه تعبر عن حالة شجية في تاريخ العرب ، ولا تكاد قصيدة من القصائد تخلو من ذكر خلجات النفس ليشكل من حضورها البارز في الشعر العربي قديمه وحديثه ظاهرة تستدعي الاهتمام والدراسة ، فبعض الشعراء جعل قصيدته مرأة عاكسة لحياته من خلال الاعترافات التي يدونها في شعره ، وقد لفتت مسئلة الحضور البارز للأنا في الشعر العربي أنظار بعض الدارسين ، فخصصوا لها دراساتهم معتمدين على منافذ معينة ، فكات اغلب الدراسات تتناول الجوانب الإجتماعية ومزجها بالجوانب النفسية ليظهر حضور الأنا سمه بارزة في الشعر الأندلسي يدفع الى اختياره موضوعا للبحث ، أكدت لنا التجارب الإنسانية أنَّ كل انسان يؤثر ويتأثر بما في حوله ؛ لذلك انعكست ملامح الحضارة الاندلسية على الشاعر محمد ابن احمد الحداد الاندلسي الملقب ابن الحداد الأندلسي ، إذ عُدّ الشاعر ابن الحداد الأندلسي نجماً لامعاً ، وكوكباً ساطعاً في سماء الشعر الأندلسي ، وأهم ما يميز الشاعر إنه كان حدراً ودقيقاً في اختيار ألفاظه . وابن حداد الأندلسي شاعر من شعراء دولة الطوائف والمرابطين وقد عرف بثقافته في مختلف العلوم الرياضية واللغوية والنحوية . وقد أرتأيت التركيز في البحث عن اسباب منافذ التعبير النفسي وتقصي الأثر النفسي في النصوص الشعرية ،والهدف الرئيس من

معرفة حالة الشاعر النفسية في اللحظة التي قال فيها هذه النصوص ، والى أي مدى كان من الإنفعال واظطراب في تلك اللحظة .

المبحث الأول

الشيب

توطئة:

تشكل مرحلة الشيب والشباب في حياة الإنسان ثنائية ضدية ،فحياة الإنسان في مرحلة الشباب غيرها في مرحلة المشيب ،من حيث عيشه بكامل طاقته ،وإقباله على الحياة ، يتحول هذا إلى ماياناقضه في مرحلة المشيب ،مع تغير نظرته للحياة وتغيير سلوكه في تعامله مع الموجودات ،وقد بث الشعراء مشاعرهم تجاه الشيب في قصائدهم منذ الجاهلية وماتلاها ،فجاءت قصائدهم صور صادقة معبرة عن تلك المعاناة .ونجد أنه من الندر أن يخلو ديوان من الحديث عن الشباب والشيب .

وعلّنا نقف على دلالة هذه اللفظة من حيث اللغة والاصطلاح

والشيب في اللغة : كما عرفه ابن منظور (ت٧١١هـ) الشيب بقوله: "الشيب: معروف، قليله وكثيره بياض الشعر، والمشيب مثله، وربما سمي الشعر نفسه شيبا". (١)

اما اصطلاحا: فقد عرفه القرطبي (ت٦٧١هـ)بقوله: "وهي حالة اجتماع القوة وتمام العقل". (٢)

ومن هذا المنطلق يرسم لنا الشاعر ابن الحداد صورة محزنة يكشف فيها قدرة البلاغة التي يمتلكها عبر استخدامه صورة الشيب في استعمالين هما الشيب

١() لسان العرب: ٥١٢/١.
٢() الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي: ٣٣٠/١٥.

المـذموم والشـيب المحمـود حالـه حـال كـل الشـعراء الـذين وظفـوا هـذا، أمـا الشـيب المذموم هو يأتي بالرثاء والحزن وتصور حالته اليأس الاحباط .

وقـول الشـاعر فـي الشـيب المـذموم الـذي يكـون سـببه الهمـوم وهـذا مـن بـاب النصـح للشباب وأخذ العبر، فيقول: {الكامل}

وزيـادةُ الأقمـارِ بـدءُ شُهـورها وتَعقُّـبِ الأعقـابِ بالنقصـانِ

والشمسُ في الحملِ الذي هو أَولٌ تَسـمو كَمـا تَنحطُ في الميزانِ

ليـسَ الصِبـا زمـنُ الِصبـا لكنـهُ قَمـعُ العِدى ورعايـةُ الخِلانِ

حـالٌ يحـولُ الهَـمُ فيهـا يافعـاً والخمـرُ تثنـي الشيبَ كالشبانِ(١)

تبـدو ثقـة الشـاعر بمكانتـه بـين خـلان الصـبا تجعلـه ينسـب النسـيان الـذي يفترضـه فـي نسـيانه إلـى مجهـول، ولكـن الشـيب قـد يظهـر فـي الرجـل مبكـراً لعوامـل كثيـرة مـن أهمهـا الوراثـة أو كثـرة الهمـوم والمصـائب أو كثـرة الخـوف أو إصـابته بـالأمراض المعديـة؛ إن اعتـزاز الأنـا بمـا يصـدر عنهـا أو بمـا تنجـزه يقـف علـى حـافتين؛ الحافـة الأولـى أن الأنـا تعتـز بصـفات وسـمات وسـلوكيات ليسـت لهـا علاقـة بـالآخر الـذي، والحافـة الثانيـة يكـون لاعتـزاز الأنـا علاقـة مباشـرة وغيـر مباشـرة بـالآخر. فواضـح مـن خلال هـذا الـنص يعبـر عـن صـورة صـادقه تجـيش فـي نفسـه ، ومـا يحصـل فـي داخلـه مـن اضـطرابات نفسـية وقلـق اتجـاه الشـيخوخة ، فقـد شـكل الشيب مظهراً من مظاهر البوح بهمومه واحزانه .

وقوله : {الكامل}

هُـنْ الأمَانـي مُدمنـاتُ حِـرَانِ فَصِـلِ اعتزامـاً لاتَ حيـنَ تـوانِ

وإذا انقَضَـى زمـنُ الفتـاءِ عـنْ الفتـى فبقـاؤهُ وفنـاؤهُ سَيـانِ

١() الديوان: ص٢٨٥-٢٨٦.

لا تُخْــدَعَنَّ فمــا لإحســانِ الصّــبَا عِــــوَضٌ ولا لِرُوائـــــهِ الحُسَّـــــانِ[1]

الشاعر قد يغاير الفلسفة في بساطتها ولعله يجد مسوغا لهذا لطلب الاماني، ولا غرابة في ذلك وإن الشاعر لا يتغنى بما يعيشه، بل بما هو حاضر، ولعل الملمح الأسلوبي هنا، وهو الذي يمكن الإمساك به على طبيعة تغنيه هو أنه يعزف على أوتار الماضي؛ ولذا فهو يسترجع وبألم كثيرا من أمجاد الصبا، لكنها استرجاعات كما يبدو في زمن كبر وشاب راسه إلى زمن العمل والتنقل والترحال، وخاصة حين يحدد النطاق العمري في أماكن مسماة كالتي نراها في هذه الأبيات المكتنزة بالحسية.

وقوله : {الكامل }

وأخلعْ على ريعانهِ حُلل المُنى فمحاسنُ الأشياءِ في الريعانِ[2]

يتوجه الشاعر في هذا البيت إلى أمر الذات وتوبيخها ؛لأغراقها في الأمنيات ،وقد حل بها المشيب ،فيتحسر الشاعر على مافات من الشباب وحسن أيامه ونضارة العيش ،فالشاعر يتلهف على ضياع أيامه ،فهو يرى جمال الأشياء في الشباب يدعو إلى ترك الأماني ؛لانها لاتحلو إلا مع الشباب .

وقوله : {الطويل}

فَعَهْدِي بِهِ في ذلك الدَّوْحِ كَانِساً ومَنْ ليَ بالرُّجْعَى إلى ذلك العَهدِ؟ [3]

وفي صورة اخرى يتعامل الشاعر مع هذا البيت ليكون رداً نفسياً للانتصار على الشيب والشيخوخة ويتمنى عودة تلك الايام الجميلة ويلتقي مع محبوبته (فعهدي) توحي الى العذاب النفسي عندما يتذكر محبوبته وتلك اللحظات الجميلة التي عاشها في الاندلس .

١()الديوان : ص٢٨٥.
(٢) الديوان : ص٢٨٥
(٣) الديوان : ص١٩٧

المبحث الثاني

الموت

توطئة:

نظم كثير من الشعراء قصائدهم حول موضوع الموت بصورة مباشرة ،وموجهة إلى النفس قبل توجيهها إلى الناس ،كما إن مجرد التفكير بالموت يفسد لذة الحياة ، ويعد الموت من اكثر الدوافع النفسية التي يمكن ادخالها ضمن اطار عالم الشعر ، فموت الابن والزوجة والحبيبة والصديق وما الى ذلك يصيب الحزن ، والحزن شيء روحي لا يمكن للعقل ان يتدخل فيه ، ولان اغلب الشعراء يمتلكون عاطفة جياشة واحاسيس مفعمة كان لزاماً علينا ان نتناول الموت والى أي مدى علاقته بالحالة والانبعاث النفسي .

والموت لغة: عرفه الفيروزآبادي بقوله: "مات يموت ويمات ويميت، فهو ميت وميت: ضد حي؛ ومات: سكن، ونام، وبلي". [١]

وجاء في معجم مقياس اللغة "يطلق ويراد به ذهاب القوة من الشيء . والمُوتُ ، بالضم : الموت . والمَوتُ بالفتح : ما لا روح فيه " .[٢]

اما اصطلاحا:

فالموت: "هو مفارقة الروح للجسد، ولا يحصل ذلك إلا بألم عظيم جدا، وهو أعظم الآلام التي تصيب العبد في الدنيا" [٣]

والموت " هو صفة وجودية خلقت ضداً للحياة".[٤]

١() القاموس المحيط، : ص١٦٠.
(٢) معجم مقياس اللغة ، ج٢ ص٢٣٨
٣() جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم : ٣٥٦/٢.
(٤) رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار ، ج٣ ص٧٧

وتعددت أسماء الموت في كتب اللغة ،يقال للموت منية ،ومنون ،حمام ،وشعوب بفتح الشين ؛لأنه يشعب القبائل ويفرقها والهلاك ،وعلى الرغم من العلم بحتمية الموت ،لكنه يبقى يشكل صدمة عنيفة (١)

الحكمة أول مايفتتح به الشاعر مرثية ما فهي إصابة كبد الحقيقة الإقرار بها وهل ثمة حقيقة تستحق الوقوف عندها أكثر من الموت الذي لا مفر لأحد منه؟ هذا ما أقر به ابن الحداد في قوله :

{الكامل}

وحياتُنا سِفْرٌ ومُوطننا الرَدَى ... لكنْ كرَهْنا أنْ نَحلُ المَوطِنا
والعيْش أضنكَ أنْ تعذرُ مَطلبٌ ... كمْ مِنْ ضَناكَ في مطالبِه ضَنى
ولرُبَما أعطى الزمانُ مَقادهِ ... لا تيأسنَّ من قربِ صعبٍ أمكَنا(٢)

بدأ ابن الحداد قصيدته بقول حكمة (وحياتنا سفر) أي مسرتنا في الدنيا مثل سفر فيه مشقة وتعب، و(موطننا الردى) يقصد القبر، وأخذ هذه الحكمة التي تمثلت في قول رسول الله (ص): "ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها(٣)"، وبعدها بدء التأثر على الشاعر بقوله (والعيش أضنك أن تعذر مطلب) وهنا تبرز مقدرة الشاعر في التلاعب بالألفاظ للكشف عن رؤيته الخاصة بالحياة وهذا التأثر جاء بقوله I: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا(٤))؛لقد تجسد ألم الموت حرفا ناطقا يضج بما عجزت عنه الأنا، إن التعدد للحزن من الاستقواء على الآخر الذي تسبب في هذا الألم، والتحول في مسار ضجيج الجرح هو مسايرته للأنا، فبدل أن يكون الألم مشكوا مرفوضا أصبح مع الأنا شاكيا ورافضا؛ فكأنه والأنا شيء واحد، وهنا تغدو دلالة طول

(١) ينظر : الموت في الشعر العربي ،ص٣٠٠
٢() الديوان : ص٢٨٠-٢٨١.
٣() رواه الترمذي في السنن، رقم الحديث ٢٣٧٧: ٥٨٨/٤.
٤() سورة طه آية: ١٢٤.

أمد الجرح حتى صار جزءا من صاحبه أنه اكتسب منه الرفض، وتداخلت في هذه الصورة تقاطعات الشعر والأنا والحزن.

وتتفاوت طبيعة استدعاء واستحضار ابن الحداد للقرآن الكريم فنجده يوظف اللفظة كما وردت في الذكر الحكيم مرة ويعيد قراءتها وترتيب ها وفقا للسياق مرة أخرى ويومئ للفظة المفردة والتراكيب القرآنية والإشارة إلى القصص القرآني بأحداثه وشخوصه ومن تلك الاستحضارات قول ابن الحداد: {الطويل }

إلى الموتِ رَجْعي بعد حين فإنْ أمُت فقد خُلِّدَتْ خُلْدَ الزمانِ مناقبي[١]

يصبغ ابن الحداد قصائده بنفحة إيمانية مضيئة بنور القر آن فيشير إلى حقيقة الموت والبعث والنشور، وتأكيدا منه على أن الدنيا فانية وأن لا بد للحياة من طرق أبواب الممات ، ولكن ما يعزيه أن مناقبه ستخلده على مر الزمان وفي قوله I: *(إِنَ إِلَىٰ ربِّكَ الرُّجْعَىٰ[٢])*؛ كون الشاعر يتألم فإنه يقيم ألفة بينه وبين الجرح، فقد أتى شعره في كثير من حالات التألم مسنودا بضمير المتكلم، أنه يفصل بين الجرح الحميم، إن جاز التعبير وبين الذات المتألمة والمجروحة حين يستخدم "ياء" المتكلم في (رجعي)،فقد استطاع الشاعر أن يحرز ثباتا مافي نفس المتلقي من خلال اختياره زاوية واحدة عميقة تدور حولها حقيقة الخلق وهي الموت التي لابد منها .

وقوله : {الكامل }

صَبْراً وإنّ جَلَّ المُصابُ وسلوةً فإلَيهمَا حَكَم الحِجَى أنْ تَرَكَّنا

والدهرَ أهونُ أنْ يجيءَ بحادثٍ لمْ يثْنِهِ حُسُنُ التجلدِ أهونا[٣]

١() الديوان : ص١٥٤.
٢() سورة العلق آية: ٨.
٣()الديوان : ص٢٨٤.

وبصورة أخرى فقد تستعيض الذات الواقعية الطامحة إلى الذات الأسمى بالمحبوب لتكتمل فنحن ندرك أن المحبوب هو بديل إنه الوريث لمثال الذات، كنه الألم وهذا هو الذي يعانيه الشاعر من فقد أحد الأحباب.

ونجد في نص اخر ان المنية ، تشكل لدى الشاعر ملهماً آخر ليبثُّ الآمه من هذه الحياة التي سيدركها الموت فيقول : {الكامل }

لا بد أنْ تتلُو الحياةَ منيةٌ منْ شكَ أنّ اليومَ يُرجي المُوهِنا

لا تَرَجْ إبقاءَ البقاءِ على امرئٍ كلُ النفوسِ تَحلُ أفنيةَ الفنَا

تجدُ الحياةَ نفيسةٌ ونَفوسَنا غُرباء تَرغبُ عِنْدهاُ متَوطِنا

لوْ أنَّها شَعَرتْ لها وَسَقتْ دَرَتْ أنّ الوفاةَ هي الحياةُ تَيقنا(١)

إن الأنا وهي تستعرض هذا الموقف يزداد ايمانها بان الموت هو الحل الذي يعادل الخلاص ،لكنه في الوقت نفسه ليس الخلاص الذي يرمي تراكم عبء الحياة جانبا ،وإنما هو سعي إلى تغيره بتقويض الأنا الفردية ،فالشاعر يرى الخلاص من عبء الحياة الدنيوية وميلاد عالم جديد في الحياة الاخروية ،فيقول :

{الكامل}

إنَّ المَنِيّة لـيس يُـدْرَكُ كُنْهُهَا فَنَوَافِذُ الأفْهامِ قد وَقَفَتْ هُنَا(٢)

وقوله : {الطويل}

وذِكرِي في الآفاق طارَ كأنَّه بكلَّ لسانِ طِيْبُ عذراءَ كاعِبِ(٣)

١() الديوان : ٢٨١.
(٢) الديوان : ص٢٠٨
(٣) الديوان : ص١٥٤

وظف الشاعر ابن الحداد من خلال الأبيات رحلة في الزمان والمكان، وسيرة شعرية للعمر الهارب، والأمكنة والصور التي تتخبط داخل الذاكرة فهو يجد في الغربة كبيرة وخلاصه المرجو وكأنه يسافر يشغل نفسه عن الوطن والموت في آن واحد، كما يظن الكثير من الشعراء، بأنه يضلل الموت فلا يجد له جسداً ولا يعثر على مستقر؛ وهو في الوقت ذاته حب الوطن والذي أصبح بعده غريبا، والنيران التي تشتعل في داخله، وهذا باعث عن اليأس والإحباط النفسي الذي يعيشه.

المبحث الثالث

الشكوى

توطئة:

كان للوضع السياسي ألمضطرب الذي عاشته الأندلس ،الأثر الكبير على الحياة بكل جوانبها ،ومثل تلك الأحداث لم تكن بعيدة عن الشعر،فما هو إلا صورة حية لنقل الأحداث ،مما أثر سلبا في نفسية الفرد ،و دفع الشعراء إلى الشكوى من زمانهم وعصرهم ،في الوقت نفسه تعددت موضوعات الشكوى ،فهم يشكون من الزمن ،ومن المرض،ومن الفقر ،ومن جور الحكام ، فنشأت الشكوى لديهم في محاور جديدة لم يسبق عهد بها عندهم، كالحنين إلى الديار والمواطن، نزوح المناضلين عن الوطن مجاهدة في سبيل الله ، والشكوى من الحكام وتعسفهم، والشكوى من الفاقة والفقر المدقع، فنلاحظ من خلال هذا المر ان الشعر جاء استجابة للمؤشرات الجديدة التي تنطبق مع ما كان عليه المجتمعات من الظروف الحديثة، فتنوعت موضوعاته وتشعبت واستقلت قصائد الشكوى عن غيرها من القصائد [١]

الشكوى لغة:

١() ينظر : شعر الشكوى عند أبي العتاهية وناصر خسرو القبادياني، مجلة : ص٦٤.

والشكوى في معناها اللغوي ذكرها الفراهيدي(ت٧١٨هـ) بقوله: "شكو: الشكوى: الاشتكاء، تقول: شكا يشكو شكاة؛ ويستعمل الاشتكاء في الموجدة والمرض. هو شاك: مريض، وقد تشكى واشتكى؛ وشكا إلي فلان فلانا، فأشكيته، أي: أخذت ما يرضاه؛ والشكو: المرض نفسه". (١)

وعرفها أبن منظور بقوله: "الشكاية والشكية إظهار ما يصفك به غيرك من المكروه، والاشتكاء إظهار ما بك من مكروه أو مرض ونحوه. وأشكيت فلانا إذا فعلت به فعلا أحوجه إلى أن يشكوك، وأشكيته أيضا إذا أعتبته من شكواه ونزعت عن شكاته وأزلته عما يشكوه، وهو من الأضداد". (٢)

اما اصطلاحا: "وهي فن شعري اعتمده الشعراء للتعبير عن معاناتهم وأحاسيسهم وتجاربهم المختلفة". (٣)

وفي الشعر له دلالة كما قال الهروي معنى شكوى الشاعر بمعناه: "ما أبثه شكواي وما أكابده من الشوق إلى من ظعن عن الربع حين شوقتني معاهدهم فيه إليهم".(٤)

لقد وظف ابن الحداد المقدمات الغزلية في قصائده ليبث من خلالها شكوى فراق محبوبته وهجرها إليه، وعدم نفع الشعر من تصبر على فراقها، وهذا المشهد يشكو حسرة ومرض العشق ،فهو كان صادقا ؛لذا جاء شعره مفعما بشحنات عاطفية بالقول:

{الطويل }

أيهّا الواصلُ هَجْري أنَا في هِجرانِ صَبرِي

ليتَ شِعري أيّ نفعٍ لكَ في إدمَان ضري(١)

١() كتاب العين : ٣٨٨/٥.
٢() لسان العرب: ٤٣٩/١٤.
٣() الشكوى في شعر الأخطل، أطروحة دكتوراه : ص١١٥
٤() تهذيب اللغة، المحقق : ١٦٤/١٠.

الشاعر لا يخفي في مثل هذا النوع من الشعر، الذي يحوم حول الأنا ومعاناتها، الدلالة الفاصلة لنجد القصيدة معاناة وشكوى، وفي الوقت ذاته نجد الأنا مسلوبة لا تمتلك خيارا غير الشعر. هذه الشكوى مثلت نفس الشاعر المتألمة من صدى الحبيب واحزانه . وابن الحداد يخاطب نويرة في هذين البيتين تلك الفتاة التي تورط في حبها فقطف ثمار اللوعة والشكوى والصد والهجران ويتمنى ان يعرف مدى جدوى حبيبته من هذا الصد والهجران .

وقوله : {الطويل}

ومَنْ جَرحتهُ مثقلتاكِ نوُيرةُ فليَس يُرجَي مِنْ جِراح الأسَى أسَوا

أرى كلُ ذي سَلوى رآك مُتيمًا فما أكثرُ البلوى بِحُسنكِ والشْكوى

ونارُ الأسى تَخبو بقربِ نويرة ومنْ لي بأنَّ آوي إلى جنةِ المَأوى[٢]

في هذا النص الشعري نجد الذات المتألمة تبوح بجرحها وأيَّ جرح هذا ، إنه جرح الاسى الذي لا يلتئم انه الجرح الذي احدثته نويرة وبسبب هذا الجرح والصد والاعراض عنه بقى طوال حياته في بلوى وشكوى وما النجاة من هذا الجرح الا بالاقتراب من نويرة لكن هيهات منها القرب . فالذات المتألمة تشكل ألمها وينطق به جرح يسفر عن حزن بمظهر الشكوى يضفي إلى شوق وجمال الحبيبة.

وقوله : {البسيط }

والنَّفْسُ فيكَ ثِبارَ الحُبِّ طالبةٌ إنْ كانتِ العَيْنُ تَجْنِي منكَ أنوارَا

أُخفِي هواكَ وأكني عنه توريه وهل يُلامُ عَمِيدُ القَلبِ إنْ وَارى

١() الديوان : ص٢٢١.

٢() الديوان: ص٣٠٥.

يـا مُشْبِـه المَلَـكِ الجَعـدي تَسميـةً وَمُخْجِـلَ القمـرِ البـدريّ أنـوارا[1]

حدة الانفعال وشدة الاضطراب التي تسيطر على مشاعر الشاعر، ولا أدل على ذلك وهو يعاني ماضياً أليما وحاضرا أكثر ألما يشكو الفراق ويتحرق بالوجد، فها هو يشبه حبيبته نويرة بالملك البخيل الذي لا يجود على رعيه؛ لقد تجسد الوجد حرفا ناطقا يضج بما عجزت عنه الأنا، إن التعدد للوجد من الاستقواء على الآخر الذي تسبب في هذا، والتحول في مسار الأنا، فبدل أن يكون الوجد مشكوا مرفوضا أصبح مع الأنا شاكيا ورافضا؛ فكأنه والأنا شيء واحد،فانعكست آثار البواعث على الشكوى على الشاعر رغم الرقة والوضوح .

وقوله : {الطويل }

تُطالبُنـي نفسِـي بِما فيـهِ صَونَها فـأعْصِي ويسَطُو شوقُها فأطيعُها

ووالله مـا يَخَفـى علـيّ ضِلَالُها ولكنها تَهْـوِى فـــلا أستطيعُهـا[2]

إن تصدر ضمير المتكلم في هذه الأبيات نحو: (تطالبني)، وبروز الأنا لا يزيد عن كونه تصدر لمعاناة وألم الأنا سواء أو وصف الشاعر الأنا المجروحة بصورة مباشرة أو بشيء من لوازم الأنا، لقد استخدم ابن الحداد غرض الشكوى أكثر من غيره ليبث فيه شكواه ومعاناته، وكل ما كان يضطرب صدره من مشاعر الهم، فكان ما يقوله تعبيرا مخلصا عن تلك النفس الوجلة، التي حال اليأس بينها وبين ما تحقيق ما كانت تبغي إليه.

وقوله : {الكامل}

يا شاكِي الرمدِ الذي بشكاتِه قدْ صارَ دَهَري فيهِ لُيلةَ أرمَدا

الله والإشفاقُ يعلمُ أننّي لـوْ أستطيعُ فدِى لكنتُ لكَ الفدا

١() الديوان ،ص ٢١٨ ،الأشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس: ص٣٣٩.

٢() الديوان : ص٢٣٥.

كَمْ مِنْ دمٍ سَفَكَتْ جُفُونُكَ لم تَزَلْ تُخْفي وَتَكْتُمُ سَفْكَهُ حتى بَدَا[1]

بين الوصف وإبداء الإعجاب والاعتزاز غير المباشر أحياناً، رسم لنا الشاعر ملامح حبه مثلما رسم معالم ذكريات رست في مخيلته عن الحبيبة ويصور حالة الذي يعاني من الرمد أصابه وسهره في الليل، وهذا من باب الشكوى الذي يشكو حاله،ويتمنى لو تشاركه محبوبته هذا الألم ،مع المرض قسوة المحبوبة، وتسفر فيه الأنا عن نوع من الاكتمال، مهما شاب الأنا من شوائب الهجر، ومنغصات البعد وعنت الحبيب.

وقوله : {المتقارب }

أتى زائرًا وفؤادِي خلِيّ فَمَر بهِ مُستهامًا عمَيدا

وغادَرَني بعدهُ في غرامٍ تضرمُ بين ضُلوعي وِقُودا[2]

الدوافع عند الشاعر ودواعيه صريحة في أبياته، وقد شغلت الأحلام والطيف حيزاً في ديوان الشاعر، فهذا يدل على عمق الإحساس بالتجربة التي عاشها مع حبيبته ليعبر عنها بطرق مختلفة، وفي الغرض نفسه في مخاطبة حبيبته الذي يميل إلى كونه يتحدث بأسلوب القصة في وصف اختيارا يستثمر الإخبار متمنياً لها السعد، وهذا استعارة جميلة جعلت من خيال ذات الشاعر وأناته يتعد عن وصف بالصدق على أن تحسن حياته وعدم فوات السعادة في الحياة، ويشكو السقم الذي اصابه المتمثل بمعاناته النفسية التي تكاد لاتنتهي ،وأن شدة الوجد أصبحت كالمرض فيشير بذلك باستعمال لفظة فؤادي فيقول :

{الطويل}

وسُقُم فؤادي مِنْ سِقَام جُفونهِ فإنْ نَقِهِتْ عيناهُ فالقلبُ ناقِهُ

١() الديوان : ص١٩٤.
٢() الديوان : ص١٩٥.

مَرَادُ هَوىً حَفَّتْ به مُرُدُ العِدى ودونَ جِنانِ الخُلْدِ تُلقَى المَكَارِهُ[١]

في البيتين يشكو الشاعر من مرضه وهذا المرض مصدره مرض محبوبته ، ويصف صعوبة الوصول اليها لوجود الاعداء ويقرنها بالجنة ولكن لا ظير من الوصول بها رغم المخاطر ويوازن بينها وبين الجنة التي حفت بالمكاره والمخاطر .

ويشكو الخليفة الممدوح غالبا ؛لأنه لم يحظ منه بالعطايا ،أو حتى بمركز مرموق في المرية فيشكو ويتذمر ،فيقول :

{الكامل}

وليسَ على حكمِ الزمان تَحكُم على حسبِ الأفعالِ يَجري مصادِرا

ولولا طِلابُ الدَّهرِ غايةُ عِلمِها لمّا بَسَطوا منها بسيطاً ووافِرا[٢]

فهو يرى أن الزمان يصدر أحكاما ولايستطيع أحد أن يلومه ، وإن الدهر له نوائب تلمّ به .

ونجد في نص اخر : {الكامل}

فدعِ الزَّمانَ فإنّه لم يعتمد بجلالهِ أحداً ولا بهوانهِ

كالمُزنِ لم يخصُص بنافعِ صوبهِ أُفقاً و لم يختر أذى طُوفانهِ

لكن لباريهِ بواطنُ حكمةً في ظاهرِ الاضدادِ من اكوانهِ [٣]

هنا يشكو ابن الحداد من الدهر وتقلبات الزمان فهذه حال الدنيا بين سعادة وتعاسة ، ويقصد في ذلك ما ألمَّ به من خروجه من المرية وتركه للمعتصم .

(١) الديوان : ص٣٠٣
(٢) الديوان : ص٢١٥
(٣) الديوان : ص٣٠١

واصبح ذليلاً مطروداً من دياره ، بعد اعتقال اخيه وما كان لها وقعتها على النفس وظلم اهله . ويشبه حال الدهر بالمزن الذي يفيد مطرهُ من ناحية ، ويضر من ناحية اخرى . واصفا حالتهُ بان الدهر قد يرفع شأن اخر او يذلها . وفي موضع اخر يشكو الزمان وماذا فعل به ، فيقول في ذلك

{ الكامل }

فكأنَّما الإظلامُ أيمٌ أرقطُ وكأنَّما الإصباحُ ذِئبٌ أضبحُ

صَدَعَ الزمانُ جميعَ شمليَ جائراً إنَّ الزَّمانَ مملَّكٌ لا يسجحُ

يمّمتُها سرقسطةَ وهي المَدَى والدَهرُ يكبحُ واعتزامي يجمحُ (١)

يشكو ابن حداد ظلمة الزمان ، حين جعله حبيس الهم والحزن ، ومعاناته الم الفراق فراق الاحبة في المرية . كان صعبا عليه ان يترك موطنه واهله رغما عنه ، فقد ترك ديارهُ وطرد منها وخذله المعتصم ولم تشفع مكانته عنده ، فكلمة (جائر) تعبر عن الحالة النفسية والضغط النفسي الذي عاشه ابن حداد فبدت هذه الابيات معبرة عمّا يكنّه في داخله من مشاعر الحزن ، وظلم المعتصم والدهر له . فقد اعتاد على تقلب نوائب الدهر عليه . فقد كانت الشكوى منفذاً ومظهراً من مظاهر البوح بهمومه .

وصفوة القول في هذا المبحث أن الشكوى كانت منفذا من منافذ التعبير التي اتخذها الشاعر سبيلا للتعبير عمّا يختلج في نفسه . الملتاعة وما اصابه من هم أو حزن .

الخاتمة

١ الديوان : ص١٨٠-١٨١

كشفت لنا هذه المباحث منافذ التعبير النفسي لدى شاعرنا ابن حدّاد الأندلسي ومعرفة حالة الشاعر النفسية في اللحظة التي قال فيها الشعر . وإن الابداع الشعري والنصوص الادبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحالة الشاعر والموقف الذي كان فيه والى أي مدى كان في حالة الاظطراب والانفعال لديه في تلك اللجظة ، وجدنا أن ظاهرة الشيب والموت والشكوى قد فتحت للشاعر منافذ التعبير ليبوح من خلالها عن نفسه وليجعل منها معبراً الى عالمه الآخر .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، ط٧، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
- ديوان ابن الحداد الأندلسي، محمد بن أحمد بن خلف المعروف بالحداد، تحقيق: يوسف علي الطويل، ط١، دار الكتب العالمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار ، محمد امين عمر ابن عابدين ، طبعة خاصة ، دار عالم المكاتب ، الرياض ١٤٣٢ هـ – ٢٠٠٣
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤،٥)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (ب.د– س).

- كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (ب.د– س).
- لسان العرب ، ابن منظور : تحقيق عبدالله علي الكبير ، محمد احمد حسب الله ، هشام محمد ، دار المعارف ، القاهرة ٢٠١٦ .
- معجم مقياس اللغة ، لاحمد ابن فارس ابن زكريا (مادة الموت) تحقيق : عبدالسلام هارون ط٣ ، مطبعة الحلبي واولاده ، مصر ،١٣٩٢–١٩٧٢
- الموت في الشعر العربي ، محمد عبد السلام ، ترجمة مبروك المناعي ، مراجعة حمادي صمّود ، ط١ ، لبنان بيروت ٢٠١٧ .

الدوريات :

- شعر الشكوى عند أبي العتاهية وناصر خسرو القبادياني، عباس يداللهي، مجلة أهل البيت، العدد ١٥، العراق، ٢٠١٩م.
- الشكوى في شعر الأخطل، حسين حبيب عزرر الكريطي، أطروحة دكتوراه، جامعة أهل البيت، الأردن، ٢٠١٦م.

References

The Holy Quran

• Al-Azhari, Kh. A. (2001). *The refinement of the language* (1st ed.). Arab Heritage Revival House. Beirut.

• Al-Dimashqi, Z. A. (2001). *The Collector of Science and Wisdom in Explanation of Fifty Hadiths from the Compounds of Words* (7th ed.). Al-Risala Foundation. Beirut.

• Al-Khazraji, Sh. M. A. (1964). *The whole of the rulings rf the Quran (Interpretation of Al-qurtubi)* (2nd ed.). Egyptian Book House. Cairo.

• Al-Haddad, M. A. (1990). *Diwan Ibn Al-Haddad Al-Andalusi* (1st ed.). Al-Kotob Al-Alami Pressah. Beirut.

• Ibn Abdeen, M. A. (2003). *The Confused Response to Durr Al-Mukhtar Explanation of Tanweer Al-Absar*. Alam Al-Maktib Press. Riyadh.

• Al-Tirmidhi, M. I. (1975). *Sunan Al-Tirmidhi* (2nd ed.). Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Printing Company. Egypt.

• Al-Fayrouzabadi, M. M. (2005). *Ocean Dictionary* (8th ed.). Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution. Beirut. Lebanon.

• Al-Farahidi, A. A. (2014). *Al-Ain*. Al-Hilal Library and Publishing House. Jordan.

• Ibn Manzoor. (2016). *Lisan Al-Arab*. Al-Maarif Press. Cairo.

• Ibn Zakaria, A. F. (1972). *Lexicon of the Language Measurement* (3rd ed.). Al-Halabi and Sons Press. Egypt.

• Al-Salam, M. (2017). *Death in Arabic Poetry* (1st ed.). Lebanon. Beirut.

• Al-Kuraiti, H. H. (2016). *The Complaint in Al-Akhtal's Poetry*. Ahl Al-Bayt university press. Jordan.

Periodicals:

• Yadallahi, A. (2019). The Complaining Poetry of Abi Al-Atahiya and Nasir Khosrow Al-Qabadiani. *The Journal of Ahl al-Bayt (as) Teachings*, 2015 (15). 59-82.